وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ـ ورقلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

بلاغة الالتفات في القرآن الكريم

ـ سورة البقرة أنموذجا ـ

مذكرة تخرج استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص اللسانيات العربية .

إعداد الطالبتين:

إبتسام نور الهدى بديار

سارة غزايلي

إشراف الأستاذة:

د.خديجة عنيشل

السنة الجامعية: ٢٠٢٠م ـ ٢٠٢١م / ١٤٤٢هـ ـ ١٤٤٣هـ

شكر وعرفان

بعد الحمد والشكر لله وحده على ما أمدَّنا به من العون والصبر ، وألهمنا به من المثابرة والتوفيق .

نوجِّه أسمى عبارات الشكر والعرفان إلى من تحمَّل أعباء المذكرة ، أستاذتنا الدكتورة: : خديجة عنيشل " التي كان لها الفضل الكبير في إسداء الملاحظات والتوجيهات .

نقدِّم عظيم الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من صديقاتنا وزميلاتنا ، إلى كل هؤلاء شكرا جزيلا لكم ، جزاكم الله خيرا .

إهداء

إلى من يدع الكأس فارغا ليسقيني قطرة حب ، إلى من أزال الأشواك عن دربي ليمهّد لي طريق العلم ، أبي العزيز .

إلى من أرضعتني الحب والحنان ، إلى أجمل ابتسامة في حياتي ، إلى أروع امرأة في الوجود ، أمي الحبيبة .

إلى من ساندتني في صلاتها ودعائها ، جدتي الغالية .

إلى سندي وقوتي ، إلى من خطا معي خطواتي ويسَّر لي الصعاب ، إلى روحي وحبيبي ، حمزة هادف ، حفظه الله ورعاه .

إلى الذين ظفرت بهم هدية الأقدار ، إلى رياحين حياتي ، إلى إخوتي .

إلى جميع أساتذتي ، وإلى جميع صديقاتي ، خاصة " سارة غزايلي " .

إلى كل الأهل الذين رافقوني وشجعوني على إتمام هذا العمل .

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع ، سائلة الله العي القدير أن ينفعنا به ويمدنا بتوفيقه .

إبتسام نور الهدى بديار

إهداء

إلى من علَّمني كيف أقف بثبات فوق الأرض أبي المحترم .

إلى نبع المحبة ، والإيثار ، والكرم أمي الموقَّرة .

إلى جدتي الغالية ، رحمها الله تعالى .

إلى أقرب الناس إلى نفسي خطيبي المخلص .

إلى إخوتي ، إلى من كان لهم بالغ الأثر في تجاوزي الكثير من الصعاب .

إلى جميع أساتذتي الكريم الذين لم يتوانوا في مد يد العون لي .

إلى جميع صديقاتي اللواتي وقفن بجواري وساعدنني بكل ما يملكن وفي أصعدة كثيرة ، وخاصة أختي ورفيقة دربي " إبتسام نور الهدى بديار " .

إلى جميع من تلقَّيت منهم النصح والدعم أهديكم جهدنا العلمي وأتمنى أن يحوز رضاكم .

سارة غزايلي

ملخص الرسالة .

الالتفات مسلك أسلوبي ينتقل فيه المتكلِّم من صيغة الخطاب إلى صيغة أخرى دفاع للسأم وتجديدا لشكا الخطاب حتى يقع الكلام في أذن المستمع موقعا طيبا مليحا ، والالتفات من سنن العرب في كلامها ؛ إذ عرف عن العرب أنَّهم لا يسيرون وفق أسلوب واحد في الكلام ، بل ينتقلون من أسلوب إلى آخر رغبة في تجديد سمة الخطاب ولفت انتباه المستمع وغير ذلك من المقاصد الأسلوبية التي يتغياها المتكلِّم .

نزل القرآن الكريم بين ظهراني العرب ، ولم يجانب أساليبهم الكلامية ، بل جاءت بذات الأساليب ، والالتفات واحد منها ، وقد وجدنا صورا كثيرة منه في النص القرآني الذي اخترنا منه سورة البقرة عينة لاستلهام مواضع هذا الأسلوب المتميِّز ، وإبراز إضافاته الجمالية وقيمه التعبيرية في الخطاب القرآني فجاء موضوعنا بعنوان: بلاغة الالتفات في القرآن الكريم سورة البقرة أنموذجا ـ دراسةً أسلوبيةً .

الكلمات المفتاحية:

البلاغة ، وأسلوب ، والالتفات ، ، والقيم التعبيرية والجمالية ، وسورة البقرة .

Summary

Paying attention is a stylistic path in which the speaker moves from one form of speech to another form as a defense of boredom and a renewal of the form of speech so that the speech falls in the listener's ear in a pleasant and pleasant position, and pay attention to the traditions of the Arabs in their speech; It was known about the Arabs that they do not follow a single style of speech, but rather move from one style to another with a desire to renew the characteristic of speech and draw the attention of the listener and other stylistic purposes that the speaker pursues.

The Holy Qur'an was revealed among the Arabs, and it did not avoid their verbal methods, rather it came with the same methods, and paying attention is one of them. Our topic is entitled: The Rhetoric of Attention in the Noble Qur'an Surat Al-Baqarah as a model - a stylistic study.

key words:

Rhetoric, style, attention, expressive and aesthetic values, and Surat Al-Baqarah.

مقدمة

مقدمة .

الحمد لله الذي أنار قلوب عباده المتقين بنور كتابه المبين ، وجعل القرآن شفاءً لما في الصدور ، وهدى ورحمة للمسلمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وأشرف المرسلين سيِّدنا ومولانا محمد النبي الأمين الذي فتح الله به أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوب غلقا وأخرج الناس من الظلمات إلى النور ، فصلاة وسلام دائمين إلى يوم البعث والنشور ، وعلى آله وصحبه المهتدين الأبرار ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أمَّا بعد:

يعتبر القرآن الكريم النص المعجز بفصاحته وبيانه ، وقد كان ، وما زال ، محطَّ أنظار أهل العلم وطلابه الذين انبهروا بإعجازه ، وأسلوبه ، ودقة تآلف ألفاظه وجمال لغته ، كل هذه الأسباب وأخرى جعلت القرآن الكريم مصدرا لكثير من الدراسات اللغوية ، وغير اللغوية التي راح أصحابها يكتشفون أسراره وخباياه ، ولكن رغم هذا لا يمكن لأي كان أن يحيط علما بكلام الله عز وجل ، وأن يدرك أسراره ، وبصفتنا طلاب علم لن نجد أفضل من البحث في كتاب الله تعالى ؛ لهذا أردنا الاحتكاك بالنص القرآني ، ومعايشته ، والبحث في جوانب إعجازه ، ومن ثَمَّ جاء موضوعنا موسوما ببلاغة الالتفات في سورة البقرة ، واخترنا سورة البقرة أنموذجا ؛ كونها من السور الطوال ؛ وتحتوي على جملة من صور الالتفات .

انطلق بحثنا من إشكالية نصها:

ما القيم البلاغي التي ينطوي عليها أسلوب الالتفات في النص القرآني ، وما أهم السمات الجمالية التي يضفيها في الكلام حتى تؤثر في المتلقي ؟

تفرَّع عن الإشكالية الرئيسة إشكالات فرعية منها:

أ- ما أشكال الالتفات في سورة البقرة ؟

ب- ما أبعاده البلاغية ؟

قام بحثنا على مجموعة من الفرضيات:

أ- يعمل أسلوب الالتفات على تحقيق نظم جمالي يطعم بقية الأساليب البلاغية .

ب- سورة البقرة ثرية بأسلوب الالتفات .

من أجل معالجة إشكالية الموضوع والإجابة كانت الخطة كالآتي:

- الفصل الأول: " ماهية الالتفات ".
  - المبحث الأول: مفهوم الالتفات .
  - المبحث الثاني: آراء العلماء في الالتفات .
  - المبحث الثالث: شروط الالتفات وفوائده .
- الفصل الثاني: " الصور البلاغية والقيم الجمالية لأسلوب الالتفات في سورة البقرة ".
- الخاتمة .

اعتمد بحثنا على المنهج الوصفي متبوعا بأداة التحليل ؛ كونهما الأنسب لهذا البحث فالمنهج الوصفي لإيراد الظواهر المتعلقة بأسلوب الالتفات من حيث تعريفه وذكر آراء العلماء فيه ، وتحديد شروطه وأهدافه ، أمَّا التحليل فلرصد المواطن التي ورد فيها واستقرائها ومعرفة تأثيراتها الجمالية وقيمها البلاغية .

يهدف بحثنا إلى بيان أسرار بلاغة أسلوب الالتفات في سورة البقرة ، والوقوف على أبرز الجماليات والقيم الفنية التي يضفيها هذا الأسلوب البلاغي في النص القرآني وسياقاته المختلفة في السورة .

لتحقيق مقتضيات البحث اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع:

- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية لحسن طبل .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري .

- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي .
- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور .
- معجم لسان العرب لابن منظور .

لا يخلو بحث علمي من صعوبات وعوائق ، والحق أنَّه لم يواجهنا منها ما كان سببا في تعطيلنا عن إتمام بحثنا .

في الأخير نتقدَّم بجزيل الشكر والامتنان لأستاذتنا الدكتورة " خديجة عنيشل " التي أشرفت على هذا البحث وتابعته ، وكان لتوجيهاتها الأثر الأكبر في إخراجه على الصورة التي انتهى عليها .

ختاما ، نرجو من الله أن يحقِّق بهذا العمل نفعا ، إنَّه نعم المولى ونعم النصير .

الفصل الأول

ماهيَّة الالتفات .

❖ **المبحث الأول .**

تعريف الالتفات .

❖ **المبحث الثاني .**

آراء العلماء في الالتفات .

❖ **المبحث الثالث .**

شروط الالتفات وفوائده .

المبحث الأول: تعريف الالتفات .

أولا: لغة .

القرآن الكريم هو كلام الله سبحانه وتعالى المنزَّل على سيّدنا ومولانا محمد صلَّى الله عليه وسلَّم للبيان والإعجاز ، وهو معجزته الخالدة ، وحجته البالغة ، وهو كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فقد كان القرآن الكريم جامعا لفنون البلاغة حاويا لأطراف البيان والفصاحة ، وقد شكَّل لنا ائتلاف ألفاظه ومعانيه لوحة فنية غاية في الروعة والجمال ، ومن أهم الأساليب التي اعتمدها القرآن الكريم لبيان المعنى أسلوب الالتفات لما يحمله من نكت بلاغية تُسهم أيَّما إسهام في إضفاء صبغة جمالية على المعنى وحينما أردنا البحث عن معناه ألفينا له دلالاتٍ كثيرةً ، فقد جاء في مقاييس اللغة: " اللام والفاء والتاء كلمة واحدة تدل على اللي وصرف الشيء جهته المستقيمة ، منه لَفَتُّ الشيء: لويته ، ولَفَتُّ فلانا عن رأيه: صرفته ، والالْتِفَات: هو أن تعدل بوجهك ، وكذا التَّلَفُّت ".[1]

ورد في لسان العرب: " لَفَتَ وجهه عن القوم: صرفه ، والْتَفَتَ الْتِفَاتًا ، والتَّلَفُّتُ أكثر منه ، وتَلَفَّت إلى الشيء والْتَفَتَ إليه: صرف وجهه إليه ، ولَفَتَه يَلْفِتُه لَفْتًا: لواه على غير جهته ، وفلان يَلْفِتُ الكلام لَفْتًا ، أي: يرسله ولا يبالي كيف جاء ".[2]

مما سبق ذكره من تعريفاتٍ نستشف أنَّ مادة (ل . ف . ت) تدل في تقاليبها على الصرف ، والتحول ، والانحراف ، وهذا ما يتجلَّى في تسمية هذه الظاهرة التي نحن بصدد دراستها .

---

[1] ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن زكريا)،مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق – سورية، دط ١٣٩٩هـ،١٩٧٩م،ج٥،مادة (ل . ف . ت)،ص:٢٥٨.

[2] ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)،لسان العرب، دار صادر للطباعة ، والنشر ، والتوزيع بيروت – لبنان،دط،دت،ج٢،مادة (ل . ف . ت)،ص:٨٤.

ثانيا: اصطلاحا .

لا يختلف معنى الالتفات في اللغة عن معناه اللغوي كثيرا ، إلا أنَّ العلماء وضعوا له تعريفاتٍ تحدِّد الإطار العامَّ الذي تدور فيه معاني الالتفات الاصطلاحية .

عرَّفه عبد الله بن المعتز **(٣٩٩هـ)** أنَّه " انصراف المتكلِّم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة ، وما شبه ذلك ، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر ".[١]

عرَّفه العلوي **(ت٧٤٩هـ)** بقوله: " هو العدول من أسلوب في الكلام إلى آخر مخالف للأول ، وهذا أحسن من قولنا: هو العدول من الغيبة إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى الغيبة " [٢] ، فقد خص بالقول الأول سائر أنواع الالتفات ، أمَّا الثاني إنَّما هو مقصور على الانتقال من الخطاب للغيبة ،والعكس .

ذكر الميداني أنَّ الالتفات " هو التحويل في التعبير الكلامي من اتجاه إلى آخر من جهات الكلام الثلاث أو طرقه: التكلُّم ، والخطاب ، والغيبة ، مع أنَّ الظاهر في متابعة الكلام يقتضي الاستمرار على ملازمة التعبير وفق الطريقة المختارة أولا دون التحوُّل عنها ".[٣]

نستشف أنَّ العلماء أجمعوا على كون الالتفات عبارة عن انتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر .

---

[١] عبد الله بن المعتز، البديع، تح: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، ط١ ، ١٤٣٣هـ،٢٠١٢م،ص:٧٣.

[٢] يحيى بن حمزة العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تح: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١ ، ١٤١٥هـ،١٩٩٥م،ص:٢٦٥.

[٣] محمد حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية (أسسها ، وعلومها ، وفنونها)،دار القلم، دمشق – سورية، والدار الشامية بيروت – لبنان، ط١ ، ١٩٩٦م ج٠١،ص:٤٧٩.

المبحث الثاني: آراء العلماء في الالتفات .

أولا: آراء العلماء القدامى .

كان للعلماء الأوائل فضل السبق في معرفة هذا النوع من البلاغة العربية ، ولعل أقدمهم في الإشارة إليه هو الفرَّاء (**ت٢٠٧هـ**) الذي أشار إليه من غير أن يسمِّيه .[١]

من الأوائل المفسِّرين الذين تنبَّهوا إلى مفهوم الالتفات أبو عبيدة بن معمر المثنى (**ت٢٠٩هـ**) ، تحدَّث عنه في كتابه مجاز القرآن الذي ألَّفه لتفسير بعض الألفاظ والمعاني القرآنية ، فتراه يقول: " من مجاز ما جاءت مخاطبة الشاهد ثم تركت وحوِّلت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب ، نحو قوله تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ**﴾ (يونس / ٢٢) ، أي: بكم ، إلا أنَّ أبا عبيدة لم يسمِّه الالتفات ، بل سمَّاه الترك والتحويل كما جاء في قوله .[٢]

لعل الأصمعي (**ت٢١٦هـ**) هو أول من سمَّى هذا الأسلوب بالالتفات ، فقد ذكر ابن رشيق القيرواني (**ت٤٥٦هـ**) " أنَّه حكي عن إسحاق الموصلي أنَّه قال: قال لي الأصمعي: أتعرف التفات جرير ؟ قلت: وما هو ؟ فأنشدني:

أَتَنْسَى إِذْ تُوَدِّعُنَا سُلَيْمَى بِعُودِ بَشَامَةٍ سُقِيَ البَشَامُ [٣]

ثم قال: أما تراه مقبلا على شعره إذا التفت إلى البشام فدعا له .[١]

---

[١] متن نعيم بن حمادي المشهراني، الجهود البلاغية لابن الجوزي في تفسيره زاد المسير في علم التفسير، المكتبة الثقافية القاهرة – مصر، ط١ ، ١٤٢٥هـ،٢٠٠٥م،ص:١١٧.

[٢] شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة – مصر، ط٩ ، ١٩٦٥م،ص:٢٩-٣٠.

[٣] جرير، ديوانه، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت – لبنان،دط،١٤٠٦هـ،١٩٨٦م،ص:٤١٧.

جعل جرير الجملة الدعائية (سقي البشام) من الالتفات ، فالالتفات عند الأصمعي هو الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه ؛ أي الإقبال عليه بعد تركه ، وبهذا يعتبر الأصمعي أول من استخدم اسم الالتفات الذي صار فيما بعد مصطلحا بلاغيا .[٢]

أشار ابن قتيبة (**ت٢٧٦هـ**) إلى الالتفات في كتابه تأويل مشكل القرآن ، إلا أنَّه لم يسمِّه ، بل أدرجه في باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه .[٣]

في تراثنا البلاغي إشارة أخرى إلى مفهوم الالتفات نجدها عند المبرد (**ت٢٨٥هـ**) الذي يقول: " العرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد ، ومخاطبة الشاهد غلى مخاطبة الغائب ".[٤]

أمَّا ابن المعتز نجده تناول الالتفات في كتابه البديع في مبحث " محاسن الكلام والشعر " ، وكان الالتفات أول تلك المحاسن .[٥]

تطرَّق قدامة بن جعفر (**ت٣٣٧هـ**) للالتفات وقال فيه: " هو أن يكون الشاعر خذا في معنى فكأنَّه يعترضه إمَّا شك فيه أو ظن بأنَّ رادًّا عليه قوله أو سائلا يسأله عن سببه فيعود راجعا إلى ما قدَّمه فإمَّا أن يذكر سببه أو يحل الشك فيه ".[٦]

---

[١] ابن رشيق القيرواني (أبو علي الحسن)،العمدة في محاسن الشعر ، وآدابه ، ونقده، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط٥ ، ١٤٠١هـ،١٩٨١م،ج٠٢،ص:٤٦.

[٢] إسماعيل الحاج عبد القادر سيبوكر، أسلوب الالتفات في القرآن الكريم (مقاصده البلاغية والإعجازية)،دار المعتز عمَّان – الأردن، ط١ ، ١٤٣٨هـ،٢٠١٧م،ص:٦٧.

[٣] يُنظر: ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم)،تأويل مشكل القرآن، تح: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية القاهرة – مصر،دط،دت،ص:٢٧٥–٢٩٨،ويُنظر: متن نعيم، الجهود البلاغية لابن الجوزي في تفسيره زاد المسير في علم التفسير،ص:١٧٨.

[٤] المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)،

[٥] يُنظر: عبد الله بن المعتز،البديع،ص:٧٣.

[٦] قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،دط،دت،ص:١٥٠.

تحدَّث أبو هلال العسكري (**ت٣٩٥هـ**) عن الالتفات في كتابه الصناعتين ، وقد ألفينا أنَّه قسَّم الالتفات قسمين:

الأول: هو أن يفرغ المتكلِّم من المعنى ، فإذا ظننت أنَّه يريد أن يتجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدَّم ذكره .

الثاني: أن يكون الشاعر آخذا في معنى كأنَّه يعترضه شك أو ظن أنَّ رادًّا يرد عليه قوله أو سائلا يسأله عن سببه فيعود راجعا إلى ما قدَّمه ، فإمَّا أن يؤكِّده ، أو يذكر سببه أو زيل الشك عنه ".[١]

تجدر الإشارة إلى أنَّ الالتفات عند القدماء لم يثبت عند مصطلح واحد ، فقد تعدَّدت مسمَّياته: الترك ، والتحويل (عند أبي عبيدة) ، والانصراف (عند ابن المعتز) ، والنعت (عند قدامة بن جعفر) ، والاعتراض (عند الباقلاني والسيوطي (**ت٩١١هـ**)) ، وكذلك أطلقت عليه مسمَّيات أخرى: العكس ، والاستدراك ، والصرف ، والعدول ، ومخالفة مقتضى الحال ، والشجاعة العربية ، وجميع هذه المصطلحات تدور في فلك الالتفات .

ثانيا: آراء العلماء المحدثين .

إذا ما انتقلنا إلى دراسات المحدثين لنتبيَّن موقفهم من أسلوب الالتفات لا نجدها معمَّقة شافية وافية لهذا الموضوع ؛ لأنَّهم لم يركِّزوا عليه كثيرا ، فقلَّما نجده في كتاباتهم ، وغالبا ما يدرجون المفاهيم التي ذكرها القدامى ، فعلى سبيل الذكر نجد " رجاء عيد " يعتبر الالتفات من علم المعاني ، ويقول: " إنَّه نسق أدائي خاصٌّ في بناء الجملة ".[٢]

---

[١] أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل)،الصناعتين (الكتابة والشعر)،تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم،دار الفكر العربي،بيروت – لبنان، ط٢ ،ص:٤٠٧.

[٢] رجاء عيد،فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور،منشأة المعارف،الإسكندرية – مصر،ط٢،ص:٤٧٩.

كما أشار إلى تضارب البلاغيين حول القيمة الفنية للالتفات ، حيث إنَّه عاب على الزمخشري (**ت٥٣٨هـ**) قوله: إنَّه إيقاظ للسامع واستمالة للإصغاء ، وبيَّن أنَّ ابن الأثير قد كان مدركا لقيمته الفنية حين رد على الزمخشري قوله ، وقال: إنَّ هذا قدح في الكلام لا وصف له ؛ لأنَّه لو كان حسنا لما مل ".[١]

أمَّا محمد بركات حمدي فيرى أنَّ الالتفات " قد نيط بالمستويات العلا من أساليب البلاغة وفنونها ، ومن هنا اعتبر الالتفات بكثرته سمة العبقرية العربية ومقدرتها الفنية ".[٢]

يشير عبد الجليل مرتاض إلى أنَّ الالتفات هو " الانتقال بصورة مفاجئة من خطاب الغائب ، أو العكس ، أو الانطلاق من الغائب مرورا بضمير المتكلِّم ، وهو ليس بالأمور الهينة في أيِّ خطاب أدبي ".[٣]

يعرِّفه محمد السيِّد شيخون أنَّه " فن من فنون البلاغة ، ملاكه الذوق السليم والوجدان الصادق ، ويلقَّب بشجاعة العربية ، وهو من قبيل خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر وهو عند الجمهور التعبير عن معنى بطريقة من الطرق الثلاثة: التكلُّم ، والخطاب ، والغيبة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها ".[٤]

ذكر إبراهيم أنيس في كتابه أسرار العربية الالتفات وأورد له بعض الأمثلة ، كاستعمال الجمع وإرادة المثنى ، كما في قوله تعالى: ﴿**إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ**﴾ (التحريم / ٤) ، وقوله: ﴿ **وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ**

---

[١] رجاء عيد، البلاغة بين التقنية والتطور،ص:٤٧٩-٤٨٠.

[٢] محمد بركات حمدي، دراسات في البلاغة، دار الفكر، عمَّان – الأردن، ط١ ، ١٩٨٤م،ص:١٥٥.

[٣] عبد الجليل مرتاض، العربية بين الطبع والتطبيع، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون – الجزائر،دط،١٩٩٣م ص:١٠٨-١٠٩.

[٤] محمد السيِّد شيخون، البلاغة الوافية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة – مصر،دط،١٩٨٨م،،ج٠٢،ص:١٢١.

وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ، حيث يرى أنَّ " اللغة إذا سلكت في العلاج لا تسلك مسلكا منطقيا ، ويرى أنَّ علاج اللغة للمفرد والجمع أمر عجيب ، وشواهده لا تكاد تقع على حصر

فقد يستعمل المفرد ويراد به الجمع ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ** ﴾ وقوله: ﴿**فَإِنَّهُمۡ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ**﴾ ويقطع الأمر جازما ويقول: " مهما أجهد اللغويون أننفسهم في تقرير مثل تلك الاستعمالات فلن يستطيعوا إنكارها ؛ لأنَّها لا تمت للمنطق العامّ بصلة ؛ ذلك أنَّ للغات منطقها خاصَّ ".[1]

من خلال سرد آراء المحدثين حول أسلوب الالتفات ، يتبيَّن لنا أنَّهم لم يأتوا بجديد يُذكر ، وإنَّما قد وافقوا ما ذهب إليه أسلافهم ، حيث إنَّهم تأثروا بهم ، ومن أمثلة ذلك: تأثُّر رجاء عيد ابن الأثير في إبراز القيمة الفنية للالتفات .

[1] إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة – مصر، ط٦ ، ١٩٧٨م،ص:١٥٧-١٥٨.

المبحث الثالث: شروط الالتفات وفوائده .

أولا: شروطه .

اشترط البلاغيون للالتفات شرطين اثنين هما:

١. الشرط الأول .

أن يرد في جملتين ؛ أي بين كلامين مستقلين ، والسبب في ذلك راجع لتحديد كل من جملتي الشرط والجزاء ، فتمنع إحداهما عن الأخرى ، غير أنَّ صاحب البرهان يرى في هذا الشرط نظرا ، فقد وردت بعض مواضع الالتفات في القرآن بشكل متصل ، وليس بين جزأي الجملة (جملتي الشرط والجزاء) ، وأتى بين جملتين كقوله تعالى: ﴿**وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا**﴾ بعد قوله تعالى:﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ** ﴾، وجملة الشرط والجزاء كلام واحد ".[١]

٢. الشرط الثاني .

أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائدا في نفس الأمر إلى المنتقل عنه ، وإلا يلزم عليه أن يكون في " أنت صديقي " التفات [٢] ؛ بمعنى أن يعود الضمير الثاني على نفس الشيء الذي عاد إليه الضمير الأول المختلف عنه ، نحو قوله تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ**

---

[١] الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله)،البرهان في علوم القرآن،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم،دار المعرفة بيروت – لبنان،دط،دت،ج٠٣،ص:٣٣٢.

[٢] السيوطي (أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين)،الإتقان في علوم القرآن،تح: أحمد بن علي،دار الفكر الحديث،بيروت – لبنان،٢٠٠٤م،ج٠٤،ص:١٥٧.

وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ (يونس / ٢٢) .

ثانيا: فوائده .

يعتبر الزمخشري (**ت٥٣٨هـ**) أول من بدأ التأصيل النظري لظاهرة الالتفات ، وهنا نشير إلى أنَّه أول من عنى ببيان القيمة الفنية لتلك الظاهرة ، وقد سايره فيما ذهب إليه في هذا الصدد كثير من البلاغيين الذين جاءوا بعده ، أمثال: السكاكي (**ت٦٢٦هـ**) والقزويني (**ت٧٣٩هـ**) ، والعلوي ، وغيرهم .[١]

يرى الزمخشري في ذلك أنَّ الالتفات يحقِّق فائدتين: إحداهما عامَّة ، وتأتي في كل صوره ، وهي امتناع المتلقي وجذب انتباهه بتلك التنبُّؤات أو التحوُّلات التي لا يتوقعها في نسق التعبير ، والأخرى خاصَّة ، تتمثَّل في كل ما تشعه كل صورة من تلك الصور في موقعها من السياق الذي ترد فيه من إيحاءات ودلالات خاصَّة .[٢]

يقول الزمخشري في ذلك: " إذا انتقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد ، وقد تختصه مواقعه لفوائد ".[٣]

أمَّا ابن الأثير (**ت٦٣٧هـ**) فقد نحا بالأئمة على الزمخشري لربطه قيمة الالتفات بتأثيره في المتلقي ؛ ذلك أنَّ الالتفات من أسلوب إلى أسلوب كما يقول: " إذا لم يكن إلا لتطرية لنشاط السامع وإيقاظها للإصغاء إليه ، فإنَّ ذلك دليل على أنَّ السامع يمل من

---

[١] حسن طبل،أسلوب الالتفات في البلاغة العربية،دار الفكر العربي،القاهرة – مصر، ط١ ، ١٤١٨هـ،١٩٩٩م،ص:٢٦.

[٢] المرجع نفسه،الصفحة نفسها .

[٣] ضياء الدين بن الأثير،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة،دار نهضة مصر القاهرة – مصر،دط،دت،القسم الثاني،ص:١٦٨.

أسلوب واحد ، فينتقل إلى غيره ليجد نشاطا للاستماع ، وهذا قدح في الكلام لا وصف له ولو سلَّمنا إلى الزمخشري ما ذهب إليه لكان إنَّما يوجد ذلك في الكلام المطوَّل ، ونحن نرى الأمر بخلاف ذلك ".[١]

ثم ينتهي ابن الأثير إلى بيان قيمة الالتفات في نظره فيقول: " إنَّ الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وتيرة واحدة ، وإنَّما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود ، وذلك المعنى يتشعَّب شعبا كثيرة لا تنحصر ، وإنَّما يؤتى بها على حسب الموضع الذي ترد فيه ".[٢]

نرى أنَّ الزمخشري لم يقصر قيمة الالتفات ، كما يبدو ، من نقد ابن الأثير له عن مجرَّد إثارته للمتلقي ، بل لقد أشار إلى فائدته أو وظيفته التعبيرية الخاصَّة التي ركَّز عليها ابن الأثير ، ولعلَّنا نلاحظ أنَّ عبارات ابن الأثير في هذا المقام لا تعدو أن تكون تفصيلا لعبارة الزمخشري السابقة ، وقد تختص مواقعه لفوائد ".[٣]

[١] المرجع نفسه،القسم الثاني،ص:١٣٦.

[٢] ضياء الدين بن الأثير،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ص:١٣٧.

[٣] حسن طبل،أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية،ص:٢٧.

الفصل الثاني

الصور البلاغية والقيم الجمالية للالتفات ي سورة البقرة

.

يعتبر أسلوب الالتفات أحد المسالك التعبيرية أو الألوان البلاغية التي يشيع استخدامها في لغة القرآن الكريم ، بل لعلَّه أكثر هذه الألوان تردُّدًا وأوسعها انتشارا ، فهذا الأسلوب لا ينحصر ، كما حصره كثير من البلاغيين ، في التحوُّل من ضمير إلى ضمير ، بل إنَّ مفهومه يشيع ليشمل كل تحوُّل أو انكسار في نسق التعبير ، لا يتغيَّر به جوهر المعنى أو مفهوم البنية العميقة له على حد اصطلاح التحويليين .

سبق أن أشرنا إلى أنَّ اتِّباع مفهوم الالتفات على هذا النحو هو ما عناه بعض البلاغيين حيث عرَّفوه أنَّه " نقل الكلام من حالة إلى حالة أخرى مطلقا ".[١]

على ضوء هذا المفهوم الواسع للالتفات نود أن نحدِّد أبرز المجالات التي تحقَّق فيها في القرآن الكريم ، وأن نتوقَّف في تناولنا التفصيلي لكل مجال منها إزاء بعض الصور أو العبارات القرآنية التي تنتمي إليه ، وأبرز مجالات الالتفات في القرآن الكريم هي:[٢]

١. الصيغ .
٢. العدد .
٣. الضمائر .
٤. المعجم .

أولا: الالتفات في الصيغ .

تحقَّق الالتفات في هذا المجال كلما تخالفت صيغتان في نسق واحد من مادة معجمية واحدة ، ومن ذلك المخالفة بين صيغ الأفعال (الماضي ، والمضارع ، والأمر) ، أو بين

١

٢ حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية،ص:٥٥.

صيغتي نوع واحد منها ، أو بين صيغ الأسماء ، أو بين صيغة من صيغ الاسم وأخرى من صيغ الفعل .[١]

يقول صاحب المثل السائر في تحديد دقة هذا اللون من ألوان الالتفات: " اعلم ، أيها المتوشِّح لمعرفة البيان ، أنَّ العدول من صيغة إلى صيغة من الألفاظ لإلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك ، وهو لا يتوخَّاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطَّلع على أسرارها وفتَّش عن دفائنها ، ولا تجد ذلك في كل كلام فإنَّه من أشكل ضروب علم البيان ، وأدقها فهما ، وأغمضها طريقا ".[٢]

على ضوء هذا القول لابن الأثير نود أن نحدِّد المواضع التي تحقَّق فيها في سورة البقرة كي نستجلي بعض ما يومض به هذا اللون البلاغي من قيم وأسرار بلاغية مستأنسين بتوجيه البلاغيين والمفسرين لكل آية .

١. الالتفات بين صيغتي الفعل .

- **نجى أنجي .**

ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ (البقرة / ٤٩ – ٥٠) .

تحوَّل الفعل من (نَجَى) إلى (أَنْجَى) ، والمعنى الذي يؤدِّيه كل منهما واحد ، وهو تخليص الإنسان ممَّا يهدِّده من أخطار ، ولكن يبقى بعد ذلك أنَّ لكل منهما خصوصياتٍ في

[١] حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية،ص:٥٦.

[٢] ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، القسم الثاني،ص:١٨٠.

تأدية المعنى ؛ فالأولى منهما تتفرَّد دون الثانية بالدلالة على تكثير المعنى ، وتأكيده والمبالغة في إثباته .[1]

هذا الفارق بعينه هو سر العدول عن (نَجَّى) إلى (أنجى) في الآيتين السابقتين فنلاحظ أنَّ التخليص المدلول علبه بالفعل (نَجَّى) في الآية الأولى كان من شرور آل فرعون ، فشملت بني إسرائيل في ذواتهم تعذيبا ، وفي أبنائهم تذبيحا ، وفي نسائهم استحياء أمَّا التخليص بفعل الإنجاء في الآية الثانية فقد كان فقط من خطر الغرق الذي كانت به نهاية هؤلاء الظالمين .[2]

٢. بين صيغ الأفعال .

أ- الماضي – المضارع .

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (الآية ٨٧) .

الشاهد في هذه الآية هو الالتفات في قوله: ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ حيث انتقل زمن الفعل من الماضي (كَذَّبْتُم) إلى المضارع (تَقْتُلُونَ) .

جاء الفعل (تَقْتُلُونَ) بصيغة المضارع عوضا عن الماضي ؛ لاستحضار الحالة الفضيحة ، وهي حالة قتل رسلهم ؛ وذلك لما في صيغة (تَقْتُلُونَ) من مراعاة الفواصل فاكتمل بذلك المعنى [3] ، وهذا دليل على سر بلاغة الالتفات .

---

[1] حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة العربية،ص:٦٧.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

[3] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس – تونس،دط،١٩٨٤م،ج٠١،ص:٥٩٨.

للزمخشري رأيان فيما سبق ، ويظهران في قوله: " فإن قلت: هلا قيل: وفريقا قتلتم ؟ قلت: هو على وجهين: أن تراد الحالة الماضية ؛ لأنَّ الأمر فظيع ، فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب ، وأن يراد: فريقا تقتلونهم بعد ؛ لأنَّكم تحومون حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم ".[1]

قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ (الآية ١٠٢) .

موضع الالتفات في قوله تعالى: ﴿ **تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ** ﴾ بصيغة المضارع ، وكان السياق بلفظ الماضي (تَلَتْ) باعتبار المعنى ؛ لأنَّ الفائدة من هذا التعبير بحسب ما ذهب إليه الطبري (**ت٣١٠هـ**) في قوله: " والصواب من القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ **وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ** ۖ ﴾ أنَّ ذلك توبيخ من الله لأحبار اليهود الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجحدوا نبوَّته ، وهم يعلمون أنَّه لله رسول مرسل ، وتأنيب منه لهم في رفضهم تنزيله ، وهجرهم العمل به ، وهو في أيديهم يعلمونه ويعرفون أنَّه كتاب الله واتباعهم واتباع أوائلهم وأسلافهم ما تلته الشياطين في عهد سليمان ".[2]

توسَّع أبو حيان (**ت٧٤٥هـ**) في المعنى وقال: " (تَتْلُو) هو مضارع في معنى

---

[1] الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر)،الكشاف عن حقائق التنويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط٣ ، ١٤٣٠هـ،٢٠٠٩م،ص:٨٥.

[2] الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)،جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر القاهرة – مصر، ط١ ، ١٤٢٢هـ،٢٠٠١م،ج٠٢،ص:٣١٧.

الماضي ؛ أي: ما تَلَتْ (كانت) ، و(تَتْلُو) في موضع الخبر ، وإنَّما يريدون أنَّ المضارع وقع موقع الماضي ، كما أنَّك إذا قلت: كان زيد يقوم ، هو إخبار بقيام زيد ، وهو ماضٍ لدلالة (كان) عليه ".[1]

قال الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الآية ٢١٢) .

في قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ ﴾ التفات من الفعل الماضي (زُيِّنَ) إلى الفعل المضارع (يَسْخَرُونَ) ، ويعني جل ثناؤه: يُزَيَّنُ ويَسْخَرُونَ ، كما جاء في تفسير الطبري: " زين للذين كفروا حب الحياة العاجلة في الدار الدنيا ، فهم يبتغون فيها المكاثرة والمفاخرة ، ويطلبون فيها الرياسات والمباهات ويستكبرون عن اتِّباعك ، يا محمد ، والإقرار بما جئتهم به من عندي ، تعظُّما منهم على من صدَّقك واتَّبعك ، ويسخرون ممن يتَّبعك من أهل الإيمان والتصديق بك في تركهم المفاخرة والمكاثرة بالدنيا وزينتها ".[2]

ذكر محمد الطاهر بن عاشور أنَّه " جيء في فعل التزيين بصيغة الماضي ، وفي فعل السخرية بصيغة المضارع ، قضاءً لحقي الدلالة على أنَّ معنى فعل التزيين مستقر فيهم لأنَّ الماضي يدل على التحقُّق ، وأنَّ معنى (يسخرون) متكرِّر ومتجدِّد منهم ؛ لأنَّ المضارع يفيد التجدُّد ، ويعلم السامع أنَّ ما هو محقَّق بين الفعلين هو أيضا مستمر ؛ لأنَّ الشيء الراسخ في النفس لا تفتر عن تكريره ، ويعلم أنَّ ما كان مستمرا هو أيضا محقَّق لأنَّ الفعل لا يستمر إلا وقد تمكَّن من نفس فاعله وسكنت إليه ، فيكون المعنى في الآية:

---

[1] أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف)،البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط٣ ، ٢٠١٠م،ج٠١،ص:٤٩٤.

[2] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،ج٠٣،ص:٢١٨-٢١٩.

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وتُزَيَّنُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وسَخِرُوا ويَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ، وعلى هذا فإنَّما اختير لفعل التزيين خصوص المضي ولفعل السخرية خصوص المضارعة ".[1]

ب- المضارع – الماضي .

قال الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ (الآية ٢١٥)

الالتفات يظهر في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم ﴾ حيث انتقل من الفعل المضارع (يُنْفِقُونَ) إلى الفعل الماضي (أَنْفَقْتُم) .

قال الزمخشري: " كيف طابق السؤال الجواب في قوله: ﴿ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم ﴾ ، وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون ، وأجيبوا ببيان المصروف ، فقد تضمَّن قوله: ﴿ مِّنْ خَيْرٍ ﴾ بيان ما ينفقونه ، وهو كل خير ، وبني الكلام على ما هو أهم ، وهو بيان المصروف ؛ لأنَّ النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها ".[2]

جاء في التحرير والتنوير: " مراد بالفعل (أَنْفَقْتُم) الاستقبال كما هو مقتضى الشرط وعبَّر بالماضي لإظهار الرغبة في حصول الشرط ، فينزل كالحاصل المتقرر ".[3]

ج- الماضي – الأمر .

قال الله تعالى: ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (الآية ١٩١) .

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور،التحرير والتنوير،ج٠٢،ص:٢٩٦-٢٩٧.

[2] الزمخشري،الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،ص:١٢٦.

[3] محمد الطاهر بن عاشور،التحرير والتنوير،ج٠٢،ص:٣١٨.

الالتفات في قوله تعالى: ﴿ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ ﴾ ، فقد انتقل في ذلك من الفعل الماضي (قَاتَلُوكُم) إلى فعل الأمر (اقْتُلُوهُم) .

اقتضت الآية منع المسلمين من قتال المشركين عند المسجد الحرام ، وتدل على منعهم من أن يقتلوا أحدا من المشركين دون قتال عند المسجد الحرام بدلالة لحن الخطاب أو فحو الخطاب ، وجعلت غاية النهي بقوله: ﴿ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ ﴾ أي: فإن قاتلوكم عند المسجد الحرام فاقتلوهم عند المسجد الحرام ؛ لأنَّهم خرقوا حرمة المسجد الحرام ، فلو تركت معاملتهم بالمثل لكان ذلك ذريعة لهزيمة المسلمين [1] ؛ لأنَّهم انتهكوا حرمته ، فاستحقوا أشد العذاب ، وهذا ما كان قد ذكره أبو السعود (**ت٩٨٦هـ**) في تفسيره حينما وضَّح أنَّ هذا الالتفاتَ الحاصل هو " عدول عن صيغة المفاعلة التي ورد بها النهي والشرط عدة بالنصر والغلبة ".[2]

د- مضارع – أمر .

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ﴾ (الآية ٨٣) .

موضع الالتفات في هذه الآية هو قوله تعالى: ﴿ لَا تَعۡبُدُونَ ﴾ ؛ إذ وضع المضارع موضع الأمر المقصود (لا تعبدوا) ، لكنه عدل عنه .

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،ج٠٢،ص:٢٠٣.

[2] أبو السعود (محمد بن محمد العمادي)،إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان،دط،دت،ج٠١،ص:٢٠٤.

ذكر الزمخشري أنَّ " هذا الأسلوب في الكلام هو إخبار في معنى النهي ، وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي ؛ لأنَّه كأنَّه سورع إلى الامتثال والانتهاء ، فهو يخبر عنه ".[1]

يرى أبو السعود أنَّ " ﴿ **لَا تَعْبُدُونَ** ﴾ أنَّه إخبار في معنى النهي ، كقوله تعالى: ﴿ **وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ** ﴾ (البقرة / ٢٨٢) ، وهو أبلغ من صريح النهي لما فيه من إيهام أنَّ المنهي حقه أن يسارع إلى الانتهاء عمَّا نهي عنه ، فكأنَّه انتهى عنه فيخبر به الناهي ، ويؤيّده قراءة عبد الله بن مسعود: (لا تعبدوا) ، وعطف (قولوا) عليه وتقديره: أن لا تعبدوا ، فحذف الناصب ورفع الفعل ".[2]

هـ- الأمر – المضارع .

قال عزَّ وجلَّ: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ (الآية ٢١) .

الالتفات يظهر في الانتقال من فعل الأمر (اعْبُدُوا) إلى الفعل المضارع (تتقون) .

جاء في جامع البيان: " اعبدوا ربكم بالاستكانة والخضوع له بالطاعة ، وإفراد الربوبية له دون الأوثان ، والأصنام ، والآلهة ".[3]

قال الزمخشري: " يتناول ﴿ **ٱعْبُدُواْ** ﴾ شيئين معا: الأمر بالعبادة والأمر بازديادها

فالازدياد من العبادة عبادة ، وليس شيئا آخر ".[4]

صور لنا الله سبحانه وتعالى أنَّ المرجو من فعل الأمر العبادة ، وهو إرادة التقوى التي هي قصارى أمر العابد ومنتهى جهده .

---

[1] الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،ص:٨٤.

[2] أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،ج٠١،ص:١٢٣.

[3] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،ج٠١،ص:٣٨٤.

[4] الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،ص:٥٧.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الآية ٦٣) .

المتأمل في قوله تعالى يلفي أنَّ هناك التفاتا من فعل الأمر (خُذُوا) إلى الفعل المضارع (تَتَّقُونَ) .

قال الطبري: " ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم ﴾: ما أمرناكم به في التوراة ".[١]

أمر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أن تأخذ التوراة بجدية في تأدية ما أمر به وذكر ما أتى في هذا الكتاب من وعد ووعيد لله به ، وترغيب وترهيب ، فدعا إلى تلاوته والاعتبار به ودعا إلى التقوى والخوف من عقابه ".[٢]

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾: كي تتقوا المعاصي أو تنجوا من هلاك الدارين .[٣]

٣.بين الاسم والفعل .

لكل من صيغتي الاسم والفعل خصوصياتٌ تتميَّز بها عن الأخرى في أداء المعنى وقد حدَّد البلاغيون هذه الخصوصية في كل منهما حين قالوا: " إنَّ موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء ، وأمَّا الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدُّد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء ".[٤]

في ضوء هذا الفارق يمكن أن نستوفيَ بعض ما يوحي به العدول عن إحدى هاتين الصيغتين إلى الأخرى في البيان القرآني ، لذلك فلنتأمل ، على سبيل المثال ، قوله تعالى: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ، نلاحظ أنَّ هناك

---

[١] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٠٢،ص:٥١.

[٢] المصدر نفسه، ج٠٢،ص:٥٢-٥٣ (بتصرف) .

[٣] أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،ج٠١،ص:١٠٩.

[٤]

عدولا عن صيغة المضارع (يُخَادِعُونَ) إلى صيغة اسم الفاعل ، وقد واكبه متآزرا في الدلالة عدول آخر يتمثَّل في صياغة اسم الفاعل من الثلاثي (خَدَعَ) لا من الرباعي (خَادَعَ) .[1]

قال الطبري في تفسير قوله تعالى ﴿ **يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ** ﴾: " إنَّ الله لا يعذِّب من عباده إلا من كفر به عنادا بعد علمه بوحدانيته ، وبعد تقرُّر صحة ما عاند به ربَّه عليه من توحيده ، والإقرار بكتبه ورسله عنده " [2] ، وفي هذا دلالة على أنَّ هؤلاء المنافقين الذين يمنعون في محاولات الخداع هم المخدَعون .[3]

أضاف الطبري قائلا: " إنَّ من الدلالة أيضا على أنَّ قراءة من قرأ (وَمَا يَخْدَعُونَ) أولى بالصحة من قراءة من قرأ ﴿ **وَمَا يُخَٰدِعُونَ** ﴾ ؛ أنَّ الله سبحانه وتعالى أخبر عنهم أنَّهم يخادعون الله والمؤمنين في أول الآية فمحال أن ينفيَ عنهم ما قد أثبت أنَّهم قد فعلوه ؛ لأنَّ ذلك تَضَادٌّ في المعنى ، وذلك غير جائز من الله جل ثناؤه ".[4]

قال أبو السعود: " ﴿ **يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ** ﴾ ؛ أي: يخدعون ، وإيثار صيغة المفاعلة لإفادة المبالغة في الكيفية ، فإنَّ الفعل متى بولغ فيه غولب فيه قطعا ".[5]

ثانيا: الالتفات في العدد .

يحفل القرآن بالعديد من مواطن الالتفات في مجال العد ، كالإفراد ، والتثنية والجمع [1] ، ونود فيما يأتي أن نقف إزاء بعض هذه المواطن في كل صورة من الصور الثلاث .

---

[1] حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية،ص:٨٦.

[2] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،ج٠١،ص:٢٨١.

[3] حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة العربية،ص:٨٧.

[4] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،ج٠١،ص:٢٨٥.

[5] أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،ج٠١،ص:٤٠.

أ- بين الإفراد والجمع .

قال الله تعالى: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾ (الآية ٩) .

يتجلَّى في هذه الآية إفراد السمع وجمع الأبصار والقلوب ، وبذلك يتشكَّل تنسيقان في الآية: الأول العدول عن الجمع إلى الإفراد ؛ والثاني عكس ذلك .

ورد في الكشاف للزمخشري: " فإن قلت: أي فائدة من تكرير الجارِّ في قولهم: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ قلت: لو لم يكن لكان انتظاما للقلوب والأسماع في تعدية واحدة ، وحين استجدَّ للأسماع تعدية على حدة كان أدل على شدة الختم في الموضعين ، ووحَّد السمع كما وحَّد البطن في قوله: كلوا في بعض بطنكم تعفوا ، يفعلون ذلك إذا أمن اللبس ، فإذا لم يؤمن كقولك: فرسهم وثوبهم ، وأنت تريد الجمع ، رفضوه ، ولك أن تقول: السمع مصدر والمصادر لا تجمع ، فلمح الأصل يدل عليه جمع الأذن في قوله: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ (فصلت / ٥) ، وأن تقدِّر مضافا محذوفا ؛ أي: وعلى حواسِّ سمعهم ".[٢]

ذهب مفسرون آخرون إلى أنَّ السر في هذه المخالفة هو توحيد مدركات السمع وتعدُّد مدركات القلوب والأبصار ، وقد ذكر هذا صاحب المنار الذي قال: " الذي أراه أنَّ العقول والأبصار تتصرَّف في مدركات كثيرة ، فكأنَّها صارت بذلك كثيرة فجمعت ، أمَّا السمع فلا يُدْرِكُ إلا شيئا واحدا ، وهو الصوت ، ومن ثَمَّ أفرد ".[٣]

---

[١] حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة العربية،ص:٨٨.

[٢] الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،ص:٤٣.

[٣] حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة العربية،ص:٨٩.

قال الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (الآية ٢٥) .

الالتفات هو في قوله: ﴿ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ ﴾ ، فقد جاء وصف الأزواج بزنة الإفراد وكان الظاهر أن يقال: مُطَهَّرَاتٌ ، كما قرئ بذلك ؛ لأنَّه متوقع أن تأتي الصفة تابعة للموصوف في العدد ، ولكنَّ العرب تعدل عن الجمع مع التأنيث كثيرا ؛ لثقلهما ؛ لأنَّ التأنيث خلاف المألوف ، والجمع كذلك ، فإذا اجتمعا تفادوا عن الجمع بالإفراد .[1]

جاء في تفسير أبي السعود: " ﴿ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ ﴾ ؛ أي: ممَّا في نساء الدنيا من الأحوال المستقذرة ، كالحيض ، والدرن ، ودنس الطبع ، وسوء الخلق ، فإنَّ التطهُّر يستعمل في الأجسام ، والأخلاق ، والأفعال ، وقُرئ: مُطَهَّرات ، وهما لغتان فصيحتان ، يقال: النساء فَعَلَت وفَعَلْنَ ، وهي فاعلة وفواعل ، فالجمع على اللفظ ، والإفراد على تأويل الجماعة ، وقُرئ: مُطَهِّرَةٌ ، بمعنى : مُتَطَهرة ، ومُطَهَّرَة أبلغ من طاهرة ومتطهرة للإشعار بأنَّ مُطَهِّرًا طهَّرهن ، وما هو إلا الله سبحانه وتعالى ، وأمَّا التطهير فيحتمل أن يكون من قبل أنفسهن كما عند اغتسالهن ".[2]

قال الله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴾ (الآية ١٧) .

الالتفات في هذه الآية جارٍ على الإفراد في (ذَهَبَ) ، ثم انتقل إلى الجمع بالضمير في نورهم .

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،ج١،:٣٥٧.

[2] أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،ج١،ص:٧٠.

جاء في تفسير أبي السعود: " النور ضوء كل نير ، واشتقاقه من النار ، والضمير للذي ، والجمع باعتبار المعنى ؛ أي: أطفأ الله نارهم التي هي مدار نورهم ، وإنَّما علَّق الإذهاب بالنور دون نفس النار ؛ لأنَّه المقصود بالاستيقاد لا الاستدفاء ".[1]

ذهب محمد الطاهر بن عاشور في تفسير قوله تعالى ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ إلى أنَّ " الضمير في قوله: ﴿ بِنُورِهِمْ ﴾ مع كونه يلقص الضمير المفرد في قوله: ﴿ فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ﴾ مراعاة للحال المشبَّهة ، وهي حال المنافقين ، لا للحال المشبَّه بها ، وهي حال المستوقد الواحد على وجه بديع في الرجوع إلى الغرض الأصلي ، وهو انطماس نور الإيمان منهم فهو عائد إلى المنافقين ، وهذا يقتضي أن تكون جملة ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ جواب (لمَّا) ، فيكون جمع ضمائر بنورهم وتركهم إخراجا للكلام على خلاف مقتضى الظاهر إذ مقتضى الظاهر أن يقول: ذهب الله بنوره وتركه ؛ ولذلك اختير هنا لفظ النور عوضا عن النار للتنبيه على الانتقال من التنبيه إلى الحقيقة ، ليدي على أنَّ الله أذهب نور الإيمان من قلوب المنافقين ، فهذا إيجاز بديع ، كأنَّه قيل: فلمَّا أضاءت ذهب الله بنوره ، فكذلك ذهب الله بنورهم ، وهو أسلوب لا عهد للعرب بمثله ، فهو من أساليب الإعجاز .

معنى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾: أطفأ نارهم ، فعبَّر بالنور ؛ لأنَّه المقصود من الاستيقاد ، وأسند إذهابه إلى الله تعالى ؛ لأنَّه حصل بلا سبب من ريح ، أو مطر أو إطفاء مطفئ ".[2]

قال جل ثناؤه: ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ (الآية ٤١) .

---

[1] المصدر نفسه،ج٠١،ص:٥٠.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،ج٠١،ص:٣٠٩.

التفت في هذه الآية من ضمير الجمع في (لا تَكُونُوا) إلى الإفراد (كافر) ، ويدل ذلك على أنَّ المراد من الكافر فريقا ثبت له الكفر ، لا فرد واحد ، فإضافة أول إلى كافر بيانية تفيد معنى فريق ، هو أول فريق الكافرين .[1]

قال الطبري: " الخطاب في الآية خبر ، وقوله: ﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ﴾ واحد ، ويجوز توحيد ما أضيف إليه (أَفْعَل) ، وهو خبر لجميع ، إذا كان اسما مشتقا من (فَعَلَ يَفْعُلُ) ؛ لأنَّه يؤدِّي عن المراد معه المحذوف من الكلام ، وهو (مَنْ) ، ويقوم مقامه في الأداء عن معنى ما كان يؤدِّي عنه (مَنْ) من الجمع والتأنيث ، وهو في لفظ واحد ، ألا ترى أنَّك تقول: ولا تكونوا أول من يكفر به ، فمعنى (مَنْ) معنى الجمع ، وهو غير متصرِّف تصرُّف الأسماء للتثنية ، والجمع ، والتأنيث ، فإذا أقيم الاسم المشتق من (فَعَلَ يَفْعُلُ) مقامه جرى ، وهو موحَّد في مجراه في الأداء عمَّا كان يؤدِّي عنه (مَنْ) من معنى الجمع والتأنيث ".[2]

أمَّا تأويل ذلك فإنَّه يعني به: يا معشر أحبار أهل الكتاب ، صدِّقوا بما أنزلت على رسولي محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم من القرآن المصدِّق ، ككتابكم ، والذي عندكم من التوراة والإنجيل المعهود إليكم فهيما أنَّه رسولي ونبي المبعوث بالحق ، ولا تكونوا أول أمتكم كذَّب به وجحد أنَّه من عندي ، وعندكم من العلم به ما ليس عند غيركم .[3]

الملاحظ أنَّ سورة البقرة يغلب عليها الانتقال من الإفراد إلى الجمع .

ب- بين الإفراد والتثنية .

قال الله تعالى: " ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الآية ٣٨) .

---

[1] المصدر نفسه،ج٠١،ص:٤٦٠.

[2] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،ج٠١،ص:٦٠٠-٦٠١.

[3] المصدر نفسه،ج٠١،ص:٦٠١-٦٠٢.

الالتفات واقع في قوله: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ ﴾ ، وهو خطاب بلفظ الجمع ، وإن وقع على التثنية ، فقد وقع خلاف بين العلماء في المخاطب ، وهو آدم ، وحواء ، والحية ، أو هؤلاء وإبليس ، أو آدم وإبليس ، ولما كان أمرا بالهبوط من الجنة إلى الأرض وكان في ذلك انحطاط رتبة المأمور لم يؤنسه بالنداء ، ولا أقبل عليه بتنويهه بذكر اسمه والإقبال عليه بالنداء بخلاف قوله: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ .[1]

قال محمد الطاهر بن عاشور: " إنَّ جملة ﴿ ﴾ كررت ، فاحتمل تكريرها أن يكون لأجل ربط النظم في الآية القرآنية من غير أن تكون دالة على تكرير معناها في الكلام الذي خوطب به سيِّدنا آدم ، فيكون هذا التكرير لمجرد اتصال ما تعلَّق بمدلول ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ وذلك قوله: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى ﴾ ، إذ قد فصل بين هذين المتعلقين ما اعترض بينهما من قوله: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ لم يرتبط كمال الارتباط ، ولتوهَّم السامع أنَّه خطاب للمؤمنين على عادة القرآن في التفنُّن ، فلدفع ذلك أعيد قوله: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ ﴾ فهو قول واحد مكرَّر مرتين لربط الكلام ، ولذلك لم يعطف ؛ لأنَّ بينهما شبه كمال الاتصال لتنزيل قوله: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ من قوله: ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ منزلة التوكيد اللفظي ، ثم بنى عليه قوله: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى ﴾ ، وهو مغاير لما بنى على قوله: ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ ليحصل شيء من تجدُّد الكلام ؛ لكي لا يكون إعادة مجرَّد توكيد ، ويسمَّى هذا الأسلوب في علم البديع الترديد ".[2]

[1] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط،ج٠١،ص:٣١٤-٣١٥.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،ج٠١،ص:٤٤٠.

ثانيا: الالتفات في الضمائر .

إنَّ الالتفات في الضمائر لا ينحصر في هذا المجال ، كما انحصر على أيدي كثير من البلاغيين ، في صور هذا التحوُّل بين أنواع الضمائر الثلاثة ، بل إنَّه يشتمل أيضا التحوُّل عن الإضمار إلى الإظهار ، والتحوُّل عن تأنيث الضمير إلى تذكيره ، أو عن تذكيره إلى تأنيثه .[1]

١. الالتفات من الخطاب إلى الغيبة وعكسه .

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌۚ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ (٦١) .

دل سياق الآية على التوبيخ وإظهار البوء بغضب الله ، فالالتفات الحاصل في الآية هو من الخطاب إلى الغيبة ؛ من (سَأَلْتُم) إلى (عَلَيْهِم) ، والمنتظر أن يقول: عَلَيْكُم " فالضمير في قوله تعالى: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ ﴾ عائد إلى جميع بني إسرائيل لا إلى خصوص الذين أبوا دخول القرية ، والذين قالوا: لن نصبر على طعام واحد ، بدليل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ فإن الذين قتلوا النبئين هم أبناء الذين أبوا دخول القرية فالإتيان بضمير الغيبة هنا جارٍ على مقتضى الظاهر ؛ لأنهم غير المخاطبين ، فقد جاء ضمير الغيبة على

[1] حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة العربية،ص:١٠٣.

أصله ، أمَّا شموله للمخاطبين فإنَّما هو بطريقة التعريض ، وهو لزوم توارث الأبناء أخلاق الآباء وشمائلهم .[١]

قال الله تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الآية ١٨٤) .

وردت الآية الكريمة في سياق تشريع وجوب صيام رمضان وحكمه ، فهو من العبادات الرامية إلى تزكية النفس ، ورياضتها وفي ذلك صلاح حال الأفراد .[٢]

ففي الآية انتقال من الغيبة إلى الخطاب ، حيث تحدَّث بأسلوب الغيبة في قوله: ﴿ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِين ﴾ ثم انتقل إلى الخطاب في قوله: ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ ، وكان المنتظر أن يقال: وَأَنْ يَصُومُوا خَيْرٌ لَهُم ، فلقد جرى الأسلوب على طريقة لغيبة في تحديد الرخصة لمن تشتد به مشقة الصوم في الإفطار والفدية .[٣]

على المطيقين الصيام إن أفطروا ، وهي نصف صاع من بر ، ومن غيره عند أهل العراق ، ومد عند أهل الحجاز ، وكان ذلك في بدء الإسلام لما أنَّه قد فرض عليهم الصوم وما كانوا متعودين له فاشتد عليهم ، فرخص لهم في الإفطار والفدية .[٤]

تحوَّل الكلام إلى طريق الخطاب عند الحديث عن الصوم الذي أمر الله تعالى به بمعنى: " أيُّها المطيقون ، أو المطوقون ، وتحمَّلوا على أنفسكم ، وتجهدوا طاقاتكم أو المرخصون في الإفطار من المرضى والمسافرين ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ من الفدية

---

[١] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،ج٠١،ص:٥٢٧.

[٢] المصدر نفسه،ج٠٢،ص:١٥٤.

[٣] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،ج٠٢،ص:١٦٦.

[٤] أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،ج٠١،ص:١٩٩.

، أو من تطوَّع الخير ، أو منهما ، أو من التأخير إلى أيام أُخر ، والالتفات إلى الخطاب للهز والتنشيط ".[١]

يكمن سر العدول من الغيبة إلى الخطاب في الآية الكريمة هو تدرُّج تشريع التكاليف التي فيها مشقة على الناس من تغيير معتادهم .[٢]

تطرَّق الزمخشري إلى فائدة الرجوع من الغيبة إلى الخطاب في قوله: " إنَّ الرجوع من الغيبة إلى الخطاب إنَّما يستعمل للتفنُّن في الكلام والانتقال من أسلوب إلى أسلوب تطرية لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء إليه .[٣]

٢. الالتفات من التكلُّم إلى الغيبة وعكسه .

قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (الآية ١٧٢) .

معنى الآية أنَّ الله قد أباح أكل ما في الأرض من الحال الطيب ، وكانت وجوه الحلال كثيرة ، بيَّن لهم ما حرم لكونه أقل ، فعدل عن ذكر المباح إلى ذكر المحظور ؛ لكثرة المباح وقلة المحظور ، وهذا من الإيجاز والتبليغ .[٤]

الالتفات في الآية يظهر في قوله: ﴿ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ﴾ الذي فيه إسناد فعل الرزق إلى ضمير المتكلِّم بنون العظمة ؛ لما في الرزق من الامتنان والإحسان ، وإذا فسَّر الطيِّبات بالحلال كان ذلك دلالة على ما رزقه الله ، ويقسم حلالا وحراما ، بخلاف ما ذهب إليه المعتزلة من أنَّ الرزق لا يكون إلا حلالا ، وسأمنع أن يكون الرزق حراما ، والمراد: كلوا من

---

[١] أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،ج٠١،ص:١٩٩.

[٢] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،ج٠٢،ص:١٦٧.

[٣] ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، القسم الثاني،ص:١٦٨.

[٤] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط،ج٠١،ص:٦٥٩.

مستلذ ما رزقناكم ، وهو الحلال ، أمر بذلك وأباحه تعالى دفعا لمن يتوهَّم أنَّ التنوُّع في المطاعم والتفنُّن في إطابتها ممنوع منه ، فكان تخصيص المستلذ بالذكر لهذا المعنى ثم انتقل من ضمير المتكلّم إلى اسم الغائب في قوله تعالى: ﴿ **وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ** ﴾ وحكمة ذلك ظاهرة ؛ لأنَّ هذا الاسم الظاهر متضمِّن لجميع الأوصاف التي منها وصف الإنعام والرزق والشكر ليس على هذا الإذن الخاصّ ، بل يشكر على سائر الإنعامات والامتنانات .[1]

قال الله تعالى: ﴿ **ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ**﴾ (الآية ١٩٧) .

وردت الآية الكريمة في سياق الحق والتحريض على فعل الخير الذي يترتَّب عليه الجزاء في الآخرة .[2]

جرى أسلوب الالتفات على طريقة التكلُّم في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ** ﴾ باعتبار ما فيها من كناية عن الترغيب في فعل الكثير ، والمعنى: أكثروا من فعل الخير .[3]

قال أبو حيان الأندلسي: " إنَّ في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ** ﴾ التفات ؛ إذ هو خروج مع غيبة إلى الخطاب [4] ، ثم تحوَّل إلى طريق الغيبة في قوله تعالى:﴿ **وَٱتَّقُونِ** ﴾ ، فهذا أمر بخوف الله تعالى ، ولمَّا تقدَّم ما يدل على اجتناب أشياء في الحج أُمروا بالتزوُّد للمعاد ، وأخبر بالتقوى عن خير الزاد ، ناسب ذلك كله الأمر بالتقوى والتحذير ما تحل به

---

[1] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط،ج٠١،ص:٦٥٩.

[2] المصدر نفسه،ج٠٢،ص:١٠١.

[3] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،ج٠٢،ص:٢٣٥.

[4] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط،ج٠٢،ص:١٠١.

عقوبته [1] ، فهي بمنزلة التأكيد لقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [2] ، ثم قال: ﴿ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ تحريكا لامتثال الأمر بالتقوى ؛ لأنَّه يحذر العواقب إلا من كان ذا لب فهو الذي تقوم عليه حجة الله ، وهو القائل للأمر والنهي .[3]

ثالثا: الالتفات في المعجم .

يتمثل الالتفات في هذا المجال بين الألفاظ التي تتداخل دوائرها الدلالية ، بحيث تتلاقى في مساحة أو قدر مشترك من المعنى ، ثم يتفرَّد كل منهما ببعض الخصوصيات التعبيرية أو الطاقات الإيحائية التي لا يشاركه فيها سواه ، فطرفا العدول في هذا المجال هما لفظان يشتركان فيما يطلق عليه علماء اللغة المعاصرون الدلالة المركزية ، أو المعجمية أو الأساسية ، ويستقل كل منهما عن الآخر فيما يسمَّى عندهم الدلالة الهامشية أو السياقية ، أو ضلال المعنى ، وألوانه ، أمَّا قيمته المغايرة بينهما فتتمثَّل في ملاءمة كل منهما بدلالته المنفردة الموقع الذي أوثر فيه من سياق الكلام .[4]

قال الله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (الآية ٧) .

الالتفات الحاصل في هذه الآية هو العدول عن لفظة (خَتَمَ) إلى لفظة (غِشَاوَة) .

---

[1] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط،ج٠٢،ص:١٠٣.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،ج٢،ص:٢٣٦.

[3] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط،ج٠٢،ص:١٠٣.

[4] حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة العربية،ص:١٥٩.

الختم هو التغطية على الشيء والاستيثاق منه حتى لا يدخله شيء .[١]

تدل الآية على إخبار الله تعالى بختمه ، وكنَّى بالختم على القلوب عن كونها لا تقبل شيئا من الحق ، ولا تعيه لإعراضها عنه ، فاستعار الشيء المحسوس للشيء المعقول أو مَثَّل القلب بالوعاء الذي ختم الله عليه صونا لما فيه ، ومنعا لغيره من الدخول إليه فالأول مجاز والثاني مجاز التمثيل [٢] ، ثم عدل إلى الغشاوة ، فالغشاوة هي الغطاء ، وهي مصدر على زنة (فِعَالَة) من غَشَّاه إذا غَطَّاه .[٣]

ليس الختم على القلوب والأسماع ، ولا الغشاوة على الأبصار هنا حقيقة ، كما توهَّمه بعض المفسِّرين ، فيما نقله ابن عطية ، بل ذلك جارٍ على طريقة المجاز ؛ بأن جعل قلوبهم أي عقولهم في عدم نفوذ الإيمان ، والحق ، والإرشاد إليها ، وجعل أسماعهم في أشكالها عن سماع الآيات والنذر ، وجعل أعينهم في عدم الانتفاع بما ترى من المعجزات والدلائل الكونية كأنَّها مختوم عليها أو مغشي دونها ، إمَّا على طريقة الاستعارة بتشبيه عدم حصول النفع المقصود منها بالختم والغشاوة ، ثم إطلاق لفظ (خَتَمَ) على وجه التبعية ، ولفظ الغشاوة على وجه الأصلية ، وكلتاهما استعارة تحقيقية ، إلا أنَّ المشبَّه محقَّق عقلا لا حسا.

لك أن تجعل الختم والغشاوة تمثيلا بتشبيه هيئة وهمية متخيلة في قلوبهم ؛ أي: إدراكهم من التصميم على الكفر وإمساكهم عن التأمُّل في الأدلة بهيئة الختم ، وتشبيه هيئة متخيلة في أبصارهم من عدم التأمُّل في الوحدانية وصدق الرسول بهيئة الغشاوة ، وكل ذينك من تشبيه المعقول بالمحسوس ، ولك أن تجعل الختم والغشاوة مجازا مرسلا بعلاقة اللزوم والمراد اتصافهم بلازم ذلك ، وهو أن لا تعقل ولا تحس ، والختم ، في اصطلاح الشرع

---

[١] القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر)،الجامع لأحكام القرآن والمبيِّن لما تضمَّنه من السنة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط١ ، ١٤٣٧هـ،٢٠٠٦م،ج٠١،ص:٢٤٨.

[٢] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط،ج٠١،ص:١٧٥.

[٣] الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،ص:٤١.

استمرار الضلالة في نفس الضالِّ ، أو خلق الضلالة ، ومثله الطبع والأكنة ، والظاهر أنَّ قوله: ﴿ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ ﴾ معطوف على قوله: ﴿ قُلُوبِهِمۡ﴾ فتكون الأسماع مختوما عليها وليس هو خبرا مقدما لغشاوة ، فيكون ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ معطوفا عليه ؛ لأنَّ الغشاوة تناسب الأبصار لا الأسماع ؛ ولأنَّ الختم يناسب الأسماع كما يناسب القلوب ؛ إذ كلاهما يشبه الوعاء ، ويتخيَّل فيه معنى الغلق والسد .[1]

قال الله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ﴾ (الآية ١٧) .

عدل هنا عن لفظ (أَضَاءَتْ) إلى لفظ (نُورِهم) .

الملاحظ هنا أنَّ ذَكَرَ النار وضياءها ثم قال: ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ ﴾ والمنتظر أن يقال: بنارهم أو بضيائهم ، ففقي قوله: ﴿ ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ ﴾ كأنَّه يشير إلى أنَّ الضوء صادر عن النار ، و﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ ﴾ ؛ أي: اشتعلت وكثر ضوؤها في نفسها ، وقد اختير لفظ النور في قوله: ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾ دون الضوء ، ودون النار لأنَّ لفظ النور أنسب ؛ لأنَّ الذي يشبه النار من الحالة المشبَّهة مظاهر الإسلام التي يظهرونها ، وقد شاع التعبير عن الإسلام بالنور في القرآن ، فصار اختيار لفظ النور هاهنا بمنزلة تجريد الاستعارة ؛ لأنَّه أنسب بالحال المشبَّهة ، وعبّر عمَّا يقابله في الحال بلفظ يصلح لهما ، وهو بالمشبَّه أنسب في اصطلاح المتكلِّم .[2]

قال الزمخشري: " ذكر النور أبلغ ؛ لأنَّ الضوء فيد دلالة على الزيادة ، فلو قيل: ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة ، وبقاء ما يسمَّى نورا ، والغرض إزالة النور عنهم رأسا وطمسه أصلا " [3] ، وجملة ﴿ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴾ تتضمن تقرير المضمون

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،ج٠١،ص:٢٥٤-٢٥٥.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،ج٠١،ص:٣٠٨-٣١٠.

[3] الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:ص:٥٢.

لأنَّه من ذهب نوره بقي في ظلمة لا يبصر ، والقصد منه زيادة إيضاح الحالة التي صاروا إليها ، فإنَّ الدلالة الصريحة من الارتسام في ذهن السامع ما ليس للدلالة الضمنية ، فإنَّ قوله: ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ ﴾ يفيد أنَّهم لمَّا استوقدوا نارا فانطفأت انعدمت الفائدة ، وخابت المساعي ، ولكن قد يذهل السامع عمَّا صاروا إليه عند هاته الحالة ، فيكون قوله تعالى:

﴿ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴾ تذكيرا بذلك وتنبيها إليه .[1]

إنَّ العدول عن لفظة (أَضَاءَتْ) إلى لفظة (نورهم) شدة تصوير المعاني من خلال التشبيه والتمثيل ، ومن بدائع هذا التمثيل والتشبيه أنَّه ما فيه من تركيب الهيئة المشبَّه بها ومقابلتها الهيئة المركَّبة من حالهم هو قابل لتحليله تشبيها مفردا لكل جزء من هيئة أحوالهم بجزء مفرد من الهيئة المشبَّه بها فشبَّه استماعه القرآن باستيقاد النار ، ويتضمَّن تشبيه القرآن في إرشاد الناس غلى الخير والحق بالنار في إضاءة المسالك للسالكين ، وشبَّه رجوعهم إلى كفرهم بذهاب نور النار ، وشبَّه كفرهم بالظلمات ، ويشبَّهون بقوم انقطع أبصارهم .[2]

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ (الآية ١٤٩) .

الالتفات في هذه الآية هو العدول عن لفظ (ربك) إلى لفظ (الله) .

ذكر أبو حيان الأندلسي سبب الالتفات من لفظ (رب) إلى لفظ (الله) حينما قال: " نبَّه عن استدلال حكمته بالنظر إلى أفعاله ، فذكر الرب المقتضي للنعم لننظر منها إلى المنعم ، ونستدل بها عليها ، ولما انتهى إلى ذكر الوعيد ذَكَرَ لفظ الله المقتضي للعبادة التي من أخل بها استحق أليم العذاب ".[3]

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،ج٠١،ص:٣١٠-٣١٣.

[2] المصدر نفسه، الصفحات نفسها .

[3] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط،ج٠١،ص:٦١٣.

في الآية الكريمة إخبار من الله تعالى أنَّ استقبال قبلة المسجد الحرام هو الحق ؛ أي:

الثابت الذي لا يعرض له نسخ ولا تبديل ، وفي الأول قال: ﴿ **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**﴾ (الآية ١٤٤) ، حيث كان الكلام مع سفهائهم الذين اعترضوا في تحويل القبلة ، فردَّ عليهم بأشياء منها: أنَّ علماءهم يعلمون أنَّ تحويل القبلة حق من عند الله ، وختم آخر هذه الآية بقوله: ﴿ **وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**﴾ ﴾ في امتثال هذا التكليف العظيم الذي هو التحويل من جهة إلى جهة ، وذلك محض التعبُّد فالجهات كلها بالنسبة إلى البارئ تعالى مستوية ، فكونه خصَّ باستقبال هذه زمانا ، ونسخ ذلك باستقبال جهة أخرى متأبدة لا يظهر في ذلك في بادئ الرأي ، إلا أنَّه تعبُّد محض فلم يبقَ في ذلك إلا امتثال ما أمر الله ، فأخبر تعالى أنَّه لا يغفل عن أعمالكم ، بل هو المطَّلع عليها المجازي بالثواب من امتثل أمره وبالعقاب من خالفه .[١]

في الآية الكريمة كذلك أمر باستقبال الكعبة واهتمام بها ؛ لأنَّ موقع التحويل كان صعبا في نفوسهم جدا ، فأكَّد الأمر ليرى الناس التهمُّم به فخفَّف عليهم وتسكن نفوسهم إليه [٢] ، ومن بين فوائد هذا التحويل وما حقَّ به ما بدفع قليل السآمة العارضة لسماع التكرار .[٣]

---

[١] أبو حيان الأندلسي،البحر المحيط،ج٠١،ص:٦١٣.

[٢] القرطبي،الجامع لأحكام القرآن والمبيِّن لما تضمَّنه من السنة وآي الفرقان،ج٠٢،ص:٤٥٤.

[٣] محمد الطاهر بن عاشور،التحرير والتنوير،ج٠٢،ص:٤٥.

الخاتمة

الخاتمة .

في الأخير خلص البحث إلى:

أنَّ الالتفات من الأساليب البلاغية التي ينتج عنها التفنُّن والتنوُّع في الجمل والتعبيرات وقد تكرَّر في القرآن الكريم كثيرا ، خاصَّة سورة البقرة .

أنَّ الالتفات وردت له تعريفات كثيرة في المعاجم اللغوية تفاوت في معاني مادة (ل . ف . ت) ومشتقاتها ، فمفهومه لا يخرج عن الانحراف ، والتحوُّل ، والعدول ويعتبر أبو عبيدة أول المفسِّرين الذين تنبَّهوا إلى معناه .

لم يسمِّ البلاغيون القدماء الالتفات باسمه الاصطلاحي ، بل اختلفت تسمياتهم في ذلك إلا أنَّ الفضل الأول في التسمية يعود إلى الأصمعي ؛ لأنَّه أول من أشار إلى الالتفات في البلاغة .

لم يثبت الالتفات عند القدماء عند مصطلح واحد ، فقد تعدَّدت تسمياته ، نذكر منها: الترك ، والاعتراض ، والاستدراك ، ومخالفة مقتضى الحال والشجاعة العربية .

لم تكن دراسات المحدثين للالتفات معمقة ؛ لأنَّهم لم يركِّزوا عليه كثيرا ، وفي أغلب يدرجون في مفاهيمهم ما جاء به القدامى .

من خلال الوقفة التطبيقية يتبيَّن لنا أنَّ الالتفات وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم في التعبير عن دقيق المعاني بجليل المباني ، فهو لا يأتي عرضا في الكلام ، وإنَّما يأتي ليظهر قيما بلاغية وجمالية التي تدور في مجملها حول السامع والإصغاء إلى ما يدور حول الخطاب .

لا ينحصر الالتفات في مجال الضمائر كما حصره كثير من البلاغيين ، بل إنَّ مفهومه يتَّسع ليشمل مجال صيغ الأفعال (الماضي ، والمضارع ، والأمر)

والعد (المفرد ، والمثنى ، والجمع) ، والمشتقات المعجمية .

سورة البقرة ثرية بصور الالتفات ، خاصة في مجال صيغ الأفعال (الالتفات من الماضي إلى المضارع وعكسه ، ومن الماضي إلى الأمر وعكسه) ، إضافة إلى الالتفات بين صيغتي الفعل ، وبين صيغتي الاسم والفعل .

تزخر سورة البقرة بصور كثيرة للالتفات في الضمائر ، نذكر منها: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة ، ومن الغيبة إلى الخطاب ، ومن التكلُّم إلى الغيبة ...

يغلب على سورة البقرة الالتفات في صيغ الأفعال من الإفراد إلى الجمع ، وقلما نجد الالتفات من الإفراد إلى التثنية ، ومن الجمع إلى الإفراد ، كما لم نجد الالتفات من التثنية إلى الإفراد .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع .

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم .

أولا: المصادر .

١. ابن رشيق القيرواني (أبو علي الحسن) ، العمدة في محاسن الشعر ، وآدابه ، ونقده تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ط٥ ، ١٤٤١هـ ١٩٨١م .

٢. حسن طبل ، أسلوب الالتفات في البلاغة العربية ، دار الفكر العربي ، القاهرة – مصر ط١ ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٩م .

٣. الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر) ، الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تح: خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط٣ ١٤٣٠هـ ، ٢٠٠٩م .

٤. ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، القاهرة – مصر ، دط ، دت .

٥. عبد الله بن المعتز ، البديع ، تح: عدنان مطرجي ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٣٣هـ ، ٢٠١٢م .

٦. القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر) ، الجامع لأحكام القرآن والمبيِّن لما تضمَّنه من السنة وآي الفرقان ، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين ، مؤسسة الرسالة بيروت– لبنان ، ط١ ، ١٤٣٧هـ ، ٢٠٠٦م .

٧. الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، القاهرة – مصر ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م .

٨. محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس – تونس دط ، دت .

٩. أبو السعود (محمد بن محمد العمادي) ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، دط ، دت .

١٠. أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف) ، البحر المحيط ، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ٢٠١٠م .

ثانيا: المعاجم .

١١. ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن زكريا) ، مقاييس اللغة ، تح: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، دمشق – سورية ، دط ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م .

١٢. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) ، لسان العرب ، دار صادر للطباعة ، والنشر ، والتوزيع ، بيروت – لبنان ، دط ، دت .

ثالثا: المراجع .

١٣. إبراهيم أنيس ، من أسرار اللغة العربية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة – مصر ط٦ ، ١٩٨٦م .

١٤. إسماعيل الحاج عبد القادر سيبوكر ، أسلوب الالتفات في القرآن الكريم (مقاصده البلاغية والإعجازية) ن دار المعتز ، عمَّان – الأردن ، ط١ ، ١٤٣٨هـ ، ٢٠١٧م .

١٥. الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله) ، البرهان في علوم القرآن ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، دط ، دت .

١٦. أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل) ، الصناعتين (الكتابة والشعر) تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، بيروت – لبنان ط٢ ، دت .

١٧. جرير ، ديوانه ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، دط ، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م

١٨. رجاء عيد ، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، منشأة المعارف ، الإسكندرية – مصر ط٢ .

١٩. شوقي ضيف ، البلاغة (تطور وتاريخ) ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، ط٩ ١٩٦٥م .

٢٠. عبد الجليل مرتاض ، العربية بين الطبع والتطبيع ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون – الجزائر ، دط ، ١٩٩٣م .

٢١. السيوطي (أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين) ، الإتقان في علوم القرآن ، تح: أحمد بن علي ، دار الفكر الحديث ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٤م .

٢٢. ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) ، تأويل مشكل القرآن ، تح: السيد أحمد صقر المكتبة العلمية ، القاهرة – مصر ، دط ، دت .

٢٣. قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، تح: محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، دط ، دت .

٢٤. متن نعيم حمادي المشهراني ، الجهود البلاغية لابن الجوزي في تفسيره زاد المسير في علم التفسير ، المكتبة الثقافية ، القاهرة – مصر ، ط١ ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٥م .

٢٥. محمد بركات حمدي ، دراسات في البلاغة ، دار الفكر ، عمَّان – الأردن ، ط١ ١٩٨٤م

٢٦. محمد حسن حبنكة الميداني ، البلاغة العربية (أسسها ، وفنونها ، وعلومها) ، دار القلم دمشق – سورية ، والدار الشَّاميَّة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٦م .

٢٧. محمد السيد شيخون ، البلاغة الوافية ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة – مصر ، دط ١٩٨٨م .

٢٨. يحيى بن حمزة العلوي ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، تح: محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات .

الموضوع	رقم الصفحة
شكر وعرفان	**I**
إهداء	**II**
الملخص	**IV**
مقدمة	أ
الفصل الأول: " ماهية الالتفات "	**٤**
المبحث الأول: مفهوم الالتفات	٥
المبحث الثاني: آراء العلماء في الالتفات	٧
المبحث الثالث: شروط الالتفات وفوائده	١٢
الفصل الثاني: " الصور البلاغية ولقيم الجمالية لأسلوب الالتفات في سورة البقرة "	**١٥**
أولا: الالتفات في الصيغ	١٧
ثانيا: الالتفات في الضمائر	٣٢
ثالثا: الالتفات في المعجم	٣٦
الخاتمة	**٤٢**
قائمة المصادر والمراجع	**٤٥**
فهرس الموضوعات	**٤٩**